

الشعر العربي الجديد، ممكناً

بقلم طراد الكبيسي

افقط الشاعر : الموقف - الثورة . ذلك ان الحضارة ، التي هي نتاج النشاط الانساني على جميع المستويات ، وفي مختلف الازمنة والامكنة ، عندما تحل في الشاعر وتصيح جزء من ذاته ، تكون هي تصوره عن العالم والانسان ، وكذلك الرموز التي يعبر بها ، تكون هي وعييه وموقفه وتصوره لتكون .. تكون هي القصيدة : انشاعر - القصيدة ، القصيدة - الشاعر .

ان الشاعر المعاصر انذي ولد في زمن (الخيانات والشورات الجديدة) أدرك بوعيه التاريخي وواقعه الطبقي ، ان السبيل السى تفسير هذا الواقع ، تن يكون الا عن طريق الثورة ، وانثورة فحسب : التوحد معها ، والانفصال عنها ، انفصالا يتيح نه رؤية مواضى اقدامه على الطريق الصحيح ، ومدى قدرة هذه الثورة على تحقيق الهدف الاعظم : تحرر الانسان من جميع الاغلال : القديمة والجديدة ، الفكرية والمادية ، وبناء الحياة الانسانية الجديدة ، العادلة .

لقد انتهى زمن اثورة - الرومانس ، وجاء زمن الثورة - العام . كما انتهى زمن القصيدة التي تستجدي عطف الاغنياء للفقراء ، ورقة حد الشفرة للضحية ، وجاء زمن القصيدة الجديدة ، الثورية ، لتقلب الوضع ، وتفك الحصار الذي ضربه الزمن التقليدي حول العقول والاذواق ، والمدن الذبيحة الملوقة بالاطار :

« افك في قصائدي الحصار

عن هذه المدينة المذبوحة ، البالية الاطمار » (1)

- ٢ -

لقد ولد الشعر العربي الجديد في زحمة الظروف القاسية ، بين دوي القنابل ، والصراع انحاد من أجل رغيف الخبز الاسود ، ومواجهة قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية العميلة ، والكفاح من أجل بناء الشخصية القومية الجديدة . وكان فقراء هذه الارض هم « الحماطة » (٢) التي عليها أن تستنبت نفسها ، نسانا جديدا ، مضحية بحياتها - التي لا تملك غيرها - عند الضرورة . وما كان الشاعر الجديد الا واحدا من هؤلاء الفقراء ، فلم يمنحه

(١) عبد الوهاب البياتي : قصائد حب على بوابات العالم السابع ، ص ١١٤ .

(٢) « الحماطة هنا حبة القلب - كما عنها المعري في رسالة الففران . وحماطة اتقلب دمه وصميمه . وهكذا ، فقراء الارض ، هم دم الامة والثورة .

(.. لقد نطقت الآن بكلمة الحقيقة يا «ابودامي» ان الحقيقة تحرق العالم من حولنا . ولقد اكتملت حلقاتها ولم يعد ثمة مكان للشك ، ولا للهروب ، ولا للتردد . انه آت . لان كل شيء يجب ان يقرر الآن . .. كنتم جميعا تسيرون في ظل أسراركم بخطى مسترقة ، وها أنتم أولاء في الذهول . وقد تجردتم من كل شيء ، وأنفدتم في ضوء الصاعقة ، ولا تزالون أنتم الاربعة واقفين . ومع ذلك فقد انفجرت الصاعقة . وخلال هذه اللحظة التي يستغرقها الضوء فقط . فان الموتى ، الذين لم يجدوا وقتا كافيا للرقود ، يحتفظون بمظهر الاحياء ..) .

تيري مونييه

مسرحية (سباق الملوك)

- ١ -

من قال ان الشاعر يولد مع الموجة ، او يولد كالموجة ، ثم يكبر ، ويرتفع معها . فاذا ما بلغت تمامها ، وتام قوتها ، انضربت على صخور الشاطئ ، محطة متحطمة ..

من قال هذا ؟ اني لا أذكره .. وربما لم يقله أحد .. ومهما يكن .. فانشاعر يبدو لي ، هكذا .. في العصر ، في هذه الحياة .. فهو الميلاد والموت .. وهو المنتصر المهزوم .. وهو الموجة والشاطئ .. وهو الثورة والثورة المفدورة .. لم يعد ذلك الموصوف بناطح صخرة ليوهنا .. الشاعر الثوري اليوم هو الموجة العظيمة التي تتحطم ، ولكن مخلقة آثارها ، بارزة ، على صخور الشاطئ .. ذلك ان الشاعر الذي « حلت » الثورة فيه ، واصبحت هاجسه الاول والاخير ، وغدا « جنديا » من جنودها لا يمكن الا ان يترك اثره فيها .. أن يموت فيها ، وان يولد فيها ايضا ، ولادات متجددة .

ان انشاعر المعاصر ، سواء عاش حياته في رموز عصره ، ام عاشها في رموز الحضارة الانسانية ، قديمة أو معاصرة ، فهو انما يجسد وحدة الوجود المادي بين الانسان والعالم والاشياء ، جديدا وقديرا ، أعني ان التوق الذي يشتمل في وجدان الفنان للثورة ، والوعي الذي يدفعه لتخطي قانون « الضرورة العمياء » الى التفسير والخلق ، كحاجة ملحة من حاجات الخلق الفني والاحداث الانساني ، انما يستمزجه بالكون في وحدة جدلية . ويجعل من اثورة ، قبرا لا مفر منه . وهكذا تسقط كل الاقنعة .. لن تكون هناك اقنعة . هناك

الشعر ، امتياز الانفصال عنهم . بل العكس هو الصحيح . وما أحسب لوتريامون ، عندما قال مخاطبا الشعراء : « كتابتكم للشعر ليست سببا معقولا لتفصلوا عن سائر البشر » (٣) إلا مفندا لتلك النظرة التقليدية القديمة ، والزعم القائل بأن الشاعر كائن مختلف في مادته ومطامحه عن البشر الآخرين . وهذا الزعم إنما يعبر في جوهره عن زمالة غير حقيقية بين الشاعر والآخرين . كما يعكس بحث البرجوازية ، عن أسباب لتوقف ضد العالم ، وبالتالي الوفوف ضد القوى الصاعدة التي تدفع حركة التاريخ . إذ أصبح من المألوف أن البرجوازية ، ان لم تستطع توظيف الأديب لمصلحتها ، فإنها تستدع له الأسباب والمبررات لان يتخلى عن مواجعتها أي « تحييده » على الأقل (لئلا ينحاز الى جانب الفئات والطبقات الكادحة التي تستغلها) .

انها تعلم جيدا ان الادب ، سلاح ايديولوجي ، من جملة الاسلحة التي يمكن ان توجد لدحض مثالياتها الفلسفية ، وسحق وجودها الذي غدا لا شرعيا في هذا العصر .

ان الاسباب التي تجمع بين الشاعر وأبناء الطبقات الكادحة ، والثقافة ، أسباب عقائدية وطبقية . كما تجمع الاولى ، بينه وبين اولئك الذين انحدروا من مراتب البرجوازية ، وتكتمهم يحملون حلم الجماهير الكادحة ، في خلق مستقبل للانسان ، أجمل .

ان ثمة انفاقا مشتركا ، غير مكتوب ولكنه قدر الانسان الطبيعي ، بين الشاعر وبين تلك الفئات التي يجمع بينها ضغط التاريخ ، ويضعها على طريق حتمية . ويدفع بها لان تكون ظنان المجتمع لاستكشاف معالم الطرق المؤدية الى الخبز والحرية .

وعلى هذا ، فالروح الطلائعي التي يتصف بها الشاعر ، أو ينبغي ان يتصف بها ، ليست وهما قائما في انهن ، ولا شكلا مجردا عن حاجة الناس الى التحريية . الطلائعية في الشعر ، موقف فني وايدولوجي لا ينفصل عن السياسة والاجتماع والاقتصاد . وكل تجريد لها أو عزلها عن حركة العصر والصراع الطبقي ، وقصرها على الشكل انما هو رجعة ، واتخاذ موقف مضاد للانسان والعالم .

- ٣ -

ان انفن والادب ظاهرتان اجتماعيتان - كنا وما يزالان ، رغم كل اعلانات الزهو المينافيزيقي « (٧) . وان من يتحدث بلغة القرن العشرين ، ينبغي ان يحمل وعي هذا القرن ، ويعبر عن حاجة اناس هذا القرن ، هذه الحاجة الملحة الى المعرفة الاكثر والاعمق عن قوانين الواقع الموضوعية ، ليصبح بالامكان تسييرها بما يتفق ومصلحمة الجماهير الشعبية الكادحة ، على أن يرتبط التعبير عن هذه الحاجات بأسمى درجات انفن . فالشاعر الحقيقي ليس ذلك اندي يوجه همه الى المضامين وحسب ، الشاعر الحقيقي بفدر ما يعوق وعينا بالواقع وبالثورة ، يشق طريقه بين الاشكال الفنية بتمايز وفداذة . وفي هذا المعنى قال ماو تسي تونغ :

« اما نحن فنطالب بالوحدة بين الشكل والمضمون ، أي الوحدة بين المحتوى السياسي الثوري وبين أعلى مستوى ممكن من الشكل الفني . فالاعمال الفنية الخالية من الجودة الفنية لا اثر لها مهما كانت تقدمية من الناحية السياسية ، وهكذا لا نعارض الاعمال الفنية ذات وجهات النظر السياسية الخاطئة وحدها ، بل نعارض ايضا النزعة التي تدعو الى اعمال فنية من طراز الاعلانات والشعارات تحمل وجهات نظر سياسية صحيحة دون ان يكون لها اثر فني ، لهذا يجب علينا في مجال الادب والفن ان نخوض انصراع في جبهتين » . وعلى هذا ، فإننا نرى ان المشكلة في شعرنا المعاصر ، ولدى معظم شعرائنا ، لا تكمن في البحث عن الاتجاه الاجتماعي الثوري ، فهم يلتقون ، في معظمهم ، مع الجماهير في مطامحها . انما المشكلة تكمن في الوعي العمق بهذا الاتجاه ، وفي الفصل بين الاتجاه الاجتماعي والشكل الفني . أي ان ثمة طموحا الى التجديد في الشكل لا يوازيه انطموح الى تعميق الوعي بالاتجاه الاجتماعي ، ولهذا فإننا كثيرا ما نقرأ قصائد لا تخرج منها الا باحساس واحد ، هو انها تصدر عن تجريبية شكلية لا غير .

وهذه المشكلة ، هي دون شك ، واحدة من المشكلات التي تعوق وصول أشعر الجديد الى جمهوره ، وتضعف فاعليته بالتالي . ولا حل لها ، في رأينا ، سوى ان يبذل الشاعر جهودا صادقة ،

(٦) بول ايلوار - المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

(٧) مشكلة الواقع في الفن الحديث - فشر - « الآداب » -

آب ١٩٧١ ، ص ٥٣ .

نحن نحترم التجديد ، والتطلع المستمر نحو أفضل الوسائل في الاداء والتعبير انفني ، ونقر بأن الشاعر الذي يجد في ايجاد طريقه الخاص بين الشعراء ، شاعر ينبغي ان لا نخرمه من ثقنا (٤) ولكن ثمة فرق بين ان يكون التجسيد استجابة لحاجة اجتماعية او نفسية . وبين ان يكون استجابة لنزوة عارضة « مودرن » أو لنزعة الاغراب من أجل الاغراب . أو ان يكون طرفا لا عقلانيا ، حيث تفقد كل مظاهر الحدانة ، هي تلك التي لم تكتشف بعد (٥) وبذلك يصبح البحث المستمر عن الاشكال ، هروبا من الواقع . وانفزال الاديب عن أوق الروابط التي تشده الى المجتمع . أي ان البحث هذا ، يؤدي الى حالة من الاغتراب بين الشاعر والواقع الاجتماعي ، اغتراب مينافيزيقي تضعيع فيه المعالم الجوهرية لشخصية الاديب .

لقد كان الادب والفن ، وما يزال ، انعكاسا عن حاجة انسانية بجهد يستند من العينين الدموع . وكان في الوقت نفسه « تعبيرا عن حاجة الخلق في داخل الفنان » حاجته الى الخلق والتعبير . فقد انتهى ذلك الزمن الذي كان الشاعر فيه يقوم على أساس قدره على الوصف ، او وصف الكلمات ، او تفسير الظواهر وتقديم النصائح بشأنها .

الشعر اليوم ، مثل الفلسفة ، موقف ازاء العالم . تتأكد فيه

(٢) بول ايلوار - بقلم لويس باروث وجان مرسيناك . ترجمة فؤاد حداد ، ص ١٨٦ ، ومقالنا (علامات في الشعر والادب) مجلة « الثقافة الجديدة » بغداد .

(٤) بول ايلوار : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٥) مفهوم الطبيعة - الآداب - ايلول ١٩٧١ ، ص ٧ .

٣ - الميل نحو العلم ، والتفكير العلمي ، والإبتعاد عن كل ما يمت إلى عالم الاسطورة بصلة .

حقا ان عصرنا هذا يحظى اساسه . ولكن تجردات القديم تتداعى ، والفكر الجديد يتقدم بانجذات ونظريات متعددة ذات طبيعة مؤقتة ، ونسبته من حيث كونها مرتبطة بمرحلة تاريخية معينة . ان الحقيقة لازليه سخطم ، ويهني المسنور في الالواح . . والايديولوجيات التقليدية نهار ، لنقوم على انعضهمسا ايديولوجيات جديدة أو لا ايديولوجيات أحيانا !

معنى هذا ان اليقين القديم ، التقليدي أو الفيبي ، يتهار ، والاساليب ومناهج البحث القديمة ، أصبحت عقيمة لا نفي للاجابة عن كل الاسئلة المفروحة امام الانسان اليوم ، او التي يطرحها على نفسه انسان اليوم .

ان رغبة ملحة ، استولت علينا ، لارتياح مختلف لسبل لفهم طبيعة انكون في جوانبه المتعددة ، سواء عن طريق العلم او الفن ، ورغبة في التجريب بمختلف مناهج البحث مع استخدام أدوات جديدة « (١٣) » .

ولكن هذا لا يعني « تضييع الحدود » بين الاشياء . اعتقد ان هذه الحدود ما تزال قائمة في وقتنا الحاضر على الأقل . كما انه لا ينبغي ان ينسى ان الانسان منذ بدء الخليقة حتى اليوم ، في بحثه مستمر هذا ، انما يهدف في الاساس الى اعلاء شأنه ، والتغلب على قوى الاسلاب والتخلف ، واخضاع الطبيعة والقوانين التي تحكم التطور الاجتماعي لصالحه .

أي - على حد تعبير ايلوار : « من العسالم المفروض علينا ، نشيء العالم الذي نحلم به » .

٤ - واذا كان ما يميز عصرنا هذا ، انه (عصر الامبريالية) و (عصر اسريالية) فان على الشاعر الثوري ان يدرك ، انه ايضا عصر الاشتراكية العلمية ، وعصر الوافية الاشتراكية في الادب والفن ، وعصر الشعوب التي بادرت بان أمسكت بزمام حركة التاريخ لتسييرها باتجاه مطامحها . ان آديانا كثيرا ما ينسون ذلك . يقول الاستاذ لطفي الخولي : « ان الصراع الطبقي العالمي بين الاشتراكية والرأسمالية قد اصبح يجري في ظروف مواتية - موضوعيا وتاريخيا - لصالح الثورة العالمية . وذلك نتيجة قيام ونمو كل من ظاهرتي عالمية الاشتراكية وعالمية حركة التحرر الوطني . وازدياد وناق التعاون والتخالف بينهما » (١٤) .

واذا كان الظلام ما يزال يغطي نصف عالمنا ، فان الشاعر الثوري يدرك بوعيه التاريخي ، ان نصفه الاخر قد غمره النور ، وانسه يتسع ويضم كل يوم رفعة من الارض ، جديدة .

ان الشاعر الظلامي ، الشاعر الذي لا يرى سوى النصف المظلم من انعام ، شاعر بعين واحدة ، لذا فهو غير قادر على رؤية الحقيقة كاملة ، وهو شاعر « مشيط » بالتناقض بين رؤيته وبين ما هو واقع حقيقة . وهو ، بعد ، شاعر معرفل لمسيرة حركة التاريخ ، حركة الجماهير ، بما يبته في النفوس من ياس ، وبما يبعثه في الاذهان من أوهام .

ان الوعي التاريخي ، والفهم الجدلي للاشياء ، ضروري للشاعر كما هو ضروري لرجل الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . . . لقد انتهى زمن الشعر التلقائي ، الشعر الذي يتفعل بالاحداث عاطفيا وحسب ، وحل زمن الشعر الثوري ، الشعر الجدلي ، بوعيه لحركة العصر ، وحركة الافكار والاشياء .

وعلى هذا فان الشعر العربي ، يقدر ان يؤثر في الاحداث ،

(١٣) منازع الفكر الحديث - للاستاذ جود - ص ١٩ .

(١٤) مجلة الطليعة - ابريل ١٩٧٠ ، ص ١٣٦ .

لتحقيق الوحدة بين اتجاهه الاجتماعي وطوجه الفني الى الشكل التعبيري الجديد ، بين نمثل المشكلات المصيرية التي يعاينها الانسان العربي اليوم ، وانلغة الفنية مبتكرة . بين ايقاع العصر باحداثه المثيرة ، وايقاع الشعر المتفجر (٨) . ذلك ان اشعر المعاصر ، وقد اكتسب حرية لم تكن معروفة له سابقا ، في مجال الابداع والتجربة ، وهي حرية تحولات وابداع لا حرية ثبات على الطريق الاسلام ! وقد جعل هذا كنه ، مسؤولية الشاعر اكبر ، والالتزام امرا اكثر ضرورة من أي وقت مضى . فالتحرية مع الالتزام سمسات عصرنا ، كما هي سمات الشعر التنظيم على مر العصور . لان التحرية والالتزام يرتبطان ، عضويا ، بالتحولات التجارية في واقع العالم ، وبرغبة الانسان في التغيير « فحين يعان التحولات هذه عن نفسها يدركها الشاعر فبيل ان تسجن في اللحظات » (٩) وتؤيد تايبدا الاحداث التاريخية .

- ٤ -

ان هذا الارتباط بواقع العصر ، وحركة التاريخ انموذجي والانساني المعاصر نشهده ، حقيقة ، في أهم وأعق اتجاهات شعرنا العربي المعاصر ، أفصد الاتجاه الاجتماعي - الثوري .

ولا غرابة في هذا ، ان هذا هو الامر الطبيعي « فالتساعر عضو في مجتمع ، منعس في وضع اجتماعي معين ، ويتلقى نوعا من الاعتراف والكفاة . كما انه يخاطب جمهورا ، ولو كان افتراضيا » (١٠) ومن أجل فهم هذا الشعر ، ومدى ارتباطه بحركة العصر ، وقدرته على التأثير فيها ، لا بد من معرفة هذه الحركة واسلوب الفكر المعاصر في أعق تحولاتها ، والتغيرات التي طرأت ، وتطرا باستمرار عليهما ، ثم تبين بعد ذلك موقع المجتمع العربي منهما ، والنضابا التي يطرحها هذا المجتمع على الادب والفن ، ثم تحديد امكانيات هذا الشعر في خلق المستقبل العربي ، على ضوء الواقع المادي والاجتماعي والثقافي الراهن .

ان ما يميز حركة العصر ، واسلوب الفكر المعاصر في أعق وأعق خصائصهما :

١ - ان عصرنا هذا ، شهد وما يزال يشهد ، تحولات هائلة ، جذرية ، وشاملة لكل ميادين الحياة .

أي لم يقتصر ذلك على الكشوف العلمية ، والثورة التكنولوجية المعاصرة ، بل تعدى ذلك الى الآداب والفنون والعلوم الانسانية الاخرى في الاقتصاد والاجتماع والفلسفة . . . الخ .

٢ - هذه التحولات لم بعد مقصورة على فئة دون اخرى ، لقد أشرك اناس جميعا في هذا التحول . « ففي الوقت الذي تطحن فيه التنافسات الاجتماعية ، العالم فانه يتمتع بوحدة عالمية لم يعرف لها مثيلا من قبل . فالاشياء جميعا مترابطة . ولم يعد ممكنا ان يعيش الانسان نلى هامش الحياة » (١١) . العالم كله يموج بالحركة والتغيير . والطبقات تكادحة تندفع بحماس نحو تحقيق اهدافها في الحرية والعدالة الاجتماعية (١٢) .

(٨) مقالنا : (علامات في اشعر والادب - الطليعية في الشعر) مجلة « الثقافة الجديدة » .

(٩) معجم الادب المعاصر - اعداد بيار دي سواديفر - منشورات عويدات ، ص ٧٧ .

(١٠) الادب والمجتمع - لرنيه ويليك ، ترجمه محيي الدين صبحي - مجلة « الآداب » ، كانون الاول ١٩٧١ ، ص ٢٣ .

(١١) مشكلة الواقع في الفن الحديث - ارنست فشر - « الآداب » - آب ١٩٧١ ، ص ٥٢ .

(١٢) آفاق الفكر المعاصر ، اعداد فاينان بيكون - منشورات عويدات - ص ١٩ .

ويسهم في خلقها ، بقدر ما يحمل من وعي تاريخي وحضاري . وبقدر ما يحرض ، ويحرك ، وينبأ ، ويشر بالحرية .
يرى انجلز : « ان حرية الخلق لا تستقيم الا بمعرفة قوانين الطبيعة والمجتمع ، ومعرفة امكانية وضعها موضع التنفيذ بصورة منهجية ، وبدون هذا التصور لا تعني حرية الإرادة غير اتخاذ اقرارات مع المعرفة الفعلية للموضوع . ان الحرية تقوم في السيطرة على انفسنا وعلى الطبيعة الخارجية ، هذه السيطرة المؤسسة على معرفة الضرورة الطبيعية » (١٥) .

معنى ذلك ، ان الشاعر والاديب ليس الا جزء من هذا العالم الذي تحكمه قوانين مستقلة عنا ، ولكنه الجزء المتعالي : (بالوعي والقدرة على الخلق والتغيير) .

« فالفهم الموضوعي للتناقضات التي تسود قانون الحياة ، وفهم واكتشاف منطق حركة التاريخ والتفاعل مع أحداث العصر ، يمنح الشاعر الرؤيا الشاملة ، والقدرة على التخطيط والتجاوز والتوجه الى المستقبل . والتوجه الى المستقبل لا يمكن ان يتم اذا لم يستطع الشاعر ان يعايشها ويستوعب الحاضر الذي يسقط ميتا في كل لحظة لكي يصبح ماضيا ، لان المستقبل لا يولد من الفراغ واللاشيء » .

« فالشاعر الذي لا يعلن ولاه للحاضر ، ولا يحدد موقفه منه بصورة واضحة وصريحة ، ولا يأخذ مكانه بين صفوف كادحيه وجماهيره ، لن يكون له شرف منح المستقبل مثل هذا الولا . . » (١٦)
وفي وطن مثل وطننا العربي يطمح الى مستقبل افضل ، الى تحويل نفسه الى وطن متحرر ، اشتراكي ، موحد ، تكون مهمة الادب والثقافة ، الشعر ، مساعدة الفرد العربي على تكوين نفسه بنفسه ، وان يعيد خلق نفسه بنفسه في عالم يتحول باستمرار وبسرعة كما يقول غارودي (١٧) .

اي ان ذلك أشبه ما يكون بخلق (البطل الاسطوري الذي يعي بوجوده ، قضية طرحها على الانسان ، وضع تاريخي ، والسذي يكتشف معناها الانسان (أي الذي يتخطى الوضع) والذي يؤلف لدينا انتصاره - بل واخفاه احسانا - يقظة مسؤولة لجل قضايانا عصرنا (١٨) .

هذا البطل الاسطوري ، هو النموذج الاشتراكي ، الانسان الخلاق في مجتمع التحول او الجهود (الشخصية النموذجية في ظروف نموذجية - على رأي انجلز) . موضوعا كبديل للنموذج البرجوازي الذي تطلعا به الثقافة البرجوازية . هذا النموذج الاشتراكي الذي يمكن تحديد ملامحه من خلال بعض التحولات الاشتراكية ، ومن خلال التصور الموضوعي لما يمكن ان يصير اليه المجتمع ، ومن خلال النظرية الاشتراكية التي تؤمن بها ، والنضال ضد الافكار البرجوازية والليبرالية التي تفرقنا بها دور النشر العربية اليوم (اللبنانية خاصة) .

اي ان هذا الانسان هو : « حضور المستقبل باعتباره خيميرة (في رحم الحاضر) (غارودي) أو هو : « ذلك » الذي يستأنف المسوت برغبة دموية في الحياة » (محمود درويش) .

ان هذا ليس تصورا مثاليا مجردا ، انه تصور مثالي على اساس المكتنات ، والشروط المادية التي يسمح بها الواقع ، انه الممكن وليس المستحيل . فقد أكد ماركس وانجلز - مؤسسا الاشتراكية العلمية - « ان الاحساس البروليتاري الجديد بالعالم يتشكل ، ويوجد حتى قبل قيام الثورة الاشتراكية . انه يقوم على تناقض المجتمع

البرجوازي المعاصر ، على الاتجاهات الاشتراكية الداخلية التي تندعم فيه يوما بعد يوم تيمنا لتطور المجتمع الدائم الى الامام ولازدياد حدة الصراع الطبقي فيه » .

ولكن « على الرغم من ان هذا الاحساس الاشتراكي بالعالم يوجد موضوعيا ذاته ليس شهادة مجانية ممنوحة بشكل آلي لكل بروليتاري أو انسان انتقل الى مواقع البروليتاريا ، بل ان عملية تكوين هذا الاحساس عملية طويلة معقدة ومتنافضة . فالاحساس الاشتراكي بالعالم ينمو في الناس نتيجة نشاطهم الحيواني المتنوع والهادف ، ولهذا الاحساس معيار معين كالسعة والعمق والتماسك ووضوح التعبير ، كما ان هناك صيفا عديدة وطرقا متنوعة تظهره الحسي الشخص ، اذ ان الاحساس الاشتراكي بالعالم هو أغنى وأوسع ما وجد مسن احساس في تاريخ البشرية » (١٩) .

- ٥ -

اذن ، الشعر هذا الفرع المهم من فروع الادب والمعروفة عندنا ، مطالب لكي يسهم اسهاما خلاقا في صنع المستقبل العربي ، قوميا وانسانيا ، بان يكون شعبيا (١٩) ملتحما بواقع الجماهير ، مجسدا آمالها ، مزعزا استقرارها ومظاهر الجمود في حياتها ، معرضا لها ، وقائدا لها نحو النور ، مغنيا انتصاراتها وانتصارات الكائن البشري ، على الجوع ، والموت والاغتراب الطبقي .

ان الشاعر اندي لا يقدم للجماهير اكثر مما تعرف من افكار أو صور ، أو ينقل لها الواقع نسخة مكرورة على الورق . . على طريقة (فذكر عسى أن تنفع الذكرى . .) شاعر ملول ، وغير مؤثر . الشاعر الفاعل ، كان وما يزال ذا سمو فني وعمق فكري ، ذلك ان الشعبية هي التي تقود القارئ الى فكرة عميقة ، والى تعليم عميق ، انطلاقا من اكثر الوقائع بساطة وانتشارا ، كما قال لينين ، الى اكثر المشاكل تعقيدا وخصوصية . كما انها تعني المشاركة في البناء الخلاق لعالم ما يزال في طور النمو والتكوين .

ونحن مع علمنا بخطأ اية دعوة لتوحيد أساليب التعبير فسي الشعر وأهمية اختلاف الشعراء في ذلك ، الا اننا مع ذلك نعلم ان هناك رابطا يجمع هذه الاساليب كلها ، جوهرها هو الانسان . والشعر الثوري هو الذي يتوجه الى الحياة والناس . انه صوت الامة ، صوت

(١٩) الجمال في تفسيره الماركسي - « دمشق » ١٩٦٨ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٩) نعني بالشعبية ما عناه لينين بخصوص معنى الادب الشعبي في مقال له حول مجلة (زنو بودا) قال : « ان يكون الادب شعبيا أمر يختلف كثيرا عن كونه تعميميا ، ابتداءليا . الكاتب الشعبي يقود القارئ الى فكرة عميقة ، الى تعليم عميق ، انطلاقا من اكثر الوقائع بساطة وانتشارا . انه يدل اعتمادا على تحليلات غير معقدة او امثلة يحسن اختيارها ، على النتائج الأساسية التي تستخرج من هذه الوقائع ويدفع القارئ الذكي الى ان يطرح على نفسه باستمرار ، مزيدا من الاسئلة . الكاتب الشعبي لا يفترض قارئاً لا يفكر ، لا يريد او لا يعرف ان يفكر . انه على العكس ، يفترض ان كل قارئ على شيء من الثقافة يود جديا ان يدفع دماغه الى العمل ، ويساعده لتحقيق هذا العمل الجدي الصعب ويوجهه ، فيؤازره للقيام بخطواته الاولى ، ويعلمه ان يتدفع وحده الى الامام . اما الكاتب الابتدائي فيفترض قارئاً لا يفكر وغير قادر على التفكير ، فلا يقدم له المبادئ الاولى تعلم حقيقي ، بل على العكس ، يقدم له جميع نتائج علم ما « جاهزة بكاملها » في صيغة تبسيطية الى درجة العبث « تملحها » العبارات والكلمات المضحكة ، بحيث ان القارئ لا يحتاج ان يمتعض بل الى ان يزدرد وحسب » .

مجلة « الاحد » ع : (٩٧٥) ١٩ نيسان ١٩٧٠ - ترجمة ادونيس .

(١٥) المادية والمذهب النفدي التجريبي - لينين - ص ١٨٤ .

(١٦) عبد الوهاب البياتي : تجرئتي الشعرية ، ص ٣٣ .

(١٧) منطف الاشتراكية الكبير - ص ٤٥ .

(١٨) ماركسية القرن العشرين - غارودي - ص ٢١١ .

الطبقات المسحوقة ، صوت هذا العصر المتفجر ، وهذه الفترة من تاريخنا النضالي على المستويين القومي والإنساني .

ولن يكون الشاعر شاعرا إلا اذا رسم على الافق ، منطلقا من أرضية الواقع ، خطأ يتجاوز به نفسه ، كما يقول سارتر (٢٠) وخطا تتجاوز به الجماهير واقعا ، وتصنع مستقبلها بنفسها .

اننا مثلما « نناهض الفن اندي كيف نفسه مع عالم يسوده اغتراب الانسان نناهض بشكل اكبر الفن الذي يلبس الاغتراب زورا ، ثوب الحتمية الكونية . وفي تدريبنا الواقع يجب وضع الانسان في المركز البؤري ، ذلك الانسان الذي يعيش ويناضل في المجتمع . وتحدد وظيفة الفن الاكثر أهمية بالنسبة لنا في مساعدة الانسان وخدمته وعرض علاقاته المتعددة مع الطبيعة ومع المجتمع ومع نفسه ذاتها . اننا نؤمن بان الفن يجب ان ينحاز من أجل الحياة ضد الموت ومن أجل الضرورة ضد الخداعة ب « الكائن الخالد » ويجب ان ينحاز الانسان ضد عالم يسوده اغتراب لإنساني » (٢١) .

واذا صح ما قيل عن الفلسفة ، وما نظنه الا صحيحا ، ان الفلسفة اكتفت منذ عصورها الاولى ، بوصف العالم وتفسيره . وان عليها اليوم ان تعمل على تغييره ، وخلقها خلقا جديدا . فان الشعر ، عليه هو الآخر ، ان يتجاوز حدود الوصف والتفسير التي استغرقته عصور طويلة ، الى محاولة تغيير العالم .

ذلك انه اذا كانت القوة المادية لا تقلبها الا قوة مادية ، فان الفكر الثوري ، هو الآخر ، يكتسب قوة المادة اذا ما تفلل في نفوس الجماهير (انجلز) .

ان كل ذلك ، دون شك ، مرهون بالشروط الموضوعية والحضارية التي يتوجه بها للجماهير . فالشعر الثوري سواء قيل في (الهواء الطلق) او في غرف التعذيب وسجون الاعداء ، ومهما تعددت أساليبه ومناهجه ، يمكن ان يؤدي مهماته . المهم عدم الاستسلام للواقع الجائر ، والانحياز الى جانب الانسان .

ولعل معظم الآثار العظيمة في الاداب والفنون ، والتي خلدت عبر العصور ، هي تلك التي حرصت وساهمت في التحولات والثورات الاجتماعية ، وتلك التي رسخت التحولات الجديدة « واكتنزت بنزوع الانسان وطموحه وقلقه الخلائق من أجل حياة جديدة » (٢٢) .

ان المفارقة في الفن والذات الانسانية هي الاتصال والانفصال في وقت واحد بالمعنى الجدلي ، لذا لا يمكن الادعاء بان الاديب خارج تنظيمات المجتمع (الاحزاب ، المنظمات ، الاتحادات ...) غير قادر على التحريك والاثارة .

المهم ان الاديب داخل المجتمع بوعيه ، مفارق له بمعاناته . اذ هو في الحالة الاولى مدرك لاحواله واحتياجاته ويؤسه . وهو في الحالة الثانية ، مفارق له ، مفترب عنه بفكره وامانيه .

ان هذه المفارقة تدفعه ، فكرا وممارسة ، لان يعمل على تغييره وقيادته . وهو في الوقت نفسه يغير نفسه . وبذلك تسقط كل المعادلات الصعبة والسهلة معا ، التي تجعل من الاديب طرفا ، والمجتمع طرفا آخر ، وكان ما بينهما حالة انفصام . ان ما بينهما في أسوأ الاحوال ، حالة مرضية ، حالة الريفس والطبيب المالج . حالة تحكمها وتوترها المصلحة المشتركة ، والنوازع الانسانية ، والتمرد على الموت ، والخلل في الكيان الاجتماعي ، واثارة حوافز التحدي لتجاوز ما هو كائن الى ما ينبغي ان يكون .

واهدا « وليس مصادفة على الاطلاق ، ان حركة الشعر العربي الحديث بمجموعها ، ما عدا استثناءات لا تخلو منها حركة ابداعية ، تسير منذ بداياتها الاولى مع الحركة الثورية وحركة التحرر والتقدم الاجتماعي ، ثم حركة المقاومة بالتالي ، وتصبح عنصرا فعلا في هذه الحركة . ولا نستطيع هنا أن نفسر هذه الظاهرة بموقف الشعراء وحده ، من الحركة الثورية . بل لعله من الاصح القول ، ان الحدائث نفسها والمعاصرة في البناء الفني واللغة والتراكيب ، هي احدى ظاهرات ذلك الموقف الثوري للشاعر ، تحولت فيما بعد الى ظاهرة ثقافية فنية عامة » (٢٣) .

ان الشعر الجديد ولد بين ذوي القنابل ، وأتبن الجرحى ، وضياح الارض (فلسطين) وصراخ المظلومين والجياح ، حيث يخاطب الدقيق بنشارة الخشب . . وحيث (القناتة) في الريف ، والطبقات الكادحة المسحوقة في المدينة . فكان الصوت الجديد النازف الذي يحاول ان يثب قوما جديدة ، ويخلق عالما يشق فيه صوت الجائع والمقهور ، سجف الظلام والقهر ، الى نسمة من النور ، ونسمة من الحرية . يحمل الى الجماهير المضطهدة ، الامل ورياح التغيير . كان صوت الجماهير المعبر عن واقعا المؤلم والمتوجه بها نحو غد انساني قويا ، مباشرا ، مسموعا . اي انه « كان ادب معركة واضحة المعالم » كما قال الاستاذ محمد دكروب (٢٤) على المستويين المادي والفني .

يعني ان ولادة هذا الشعر كانت ضرورة تاريخية ، في مجتمع يعاني تحولا في العلاقات الاجتماعية والانتاجية : من (عشائرية - شبه اقطاعية) الى (مدنية صناعية) . كما كان استجابة فنية لكل هذه التطلبات . ذلك ان الشكل التقليدي (العمودي) للشعر المرتبط بعالم مستقر ، وعلاقات اجتماعية وانتاجية معينة ، كان لا بد من تغييره او احداث ثورة في وسيلة التعبير . فكان الشعر الجديد الذي هو اكثر مواءمة ، وقدرة على الاستجابة لتحول الجديد ، والتكوين النفسي والفكري للمجتمع الجديد .

وهكذا « لا بأس من القول ان الشعر الحديث قد ولد اولاً من مناسبة الثورة في الجامعة وفي الشارع وفي الحزب . ان ذلك يدل على الأقل ، على الصلة العضوية المباشرة بينه وبين فترة اليقظة الاولى ، جماهيريا ، على الكارثة ، وضد الكارثة » .

« فان الصرخات ضد الاحتلال الاستعماري وضد الفئات الحاكمة الظالمة معه ، هي التي وجدت طريقها فيما بعد لكي تصبح صرخات ضد الذات ، وتنتقل من مناسبة التوتر السياسي المؤقت الى مناسبة التوتر الحضاري الشامل . وهكذا فان رفض أشكال الكارثة في الخارج ، سوف ينعكس على الذات ، ليصير الى معاناة تجربة الكارثة ، أسبابها ومعانيها القومية والاجتماعية ، في ذات الشاعر وذات الأمة » .

« ولا شك ان يقظة الشعر الجماهيري ، توجهت الى وعي الوجه السياسي من الكارثة . ولذلك أعطت دفقا ثوريا ضمن القضايا السياسية ، ومحتوياتها اليومية . وما كان لليقظة السياسية ان تتحول الى صحو حضاري ، لولا ان المعركة السياسية نفسها ، قد تجاوزت عفوية النضال الجماهيري وسليته المادية المباشرة » .

« لقد استطاع الشعر الجماهيري اذن ان يبشر بيقظة ، وان يخطل على وجود الكارثة ببعث الشخصية البطولية للفارس العربي القديم . وبذلك عاد للكلمة الفنية اثرها الحي العضوي لدى الكتلة ،

(٢٣) محمد دكروب - مجلة « الطريق » ع (١) كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٧٥ .

(٢٤) محمد دكروب - مجلة « الآداب » كانون الثاني ١٩٧٢ ، ص ٤٩ .

(٢٠) الرؤيا ابداعية - ص ٢٥٩ .

(٢١) ارست قشر - مشكلة الواقع في الفن الحديث - مجلة « الآداب » آب ١٩٧١ ص ٥٣ .

(٢٢) عبد الوهاب البياتي - قضايا التحول الاجتماعي - جريدة « الثورة » عدد ٣٠ - ٣ - ١٩٧٢ .

ولعب الشاعر دور القائد مرة أخرى في أوساط الشباب الناصر ، في الجامعات والمدارس والأحزاب ، وفي مسيرات التظاهرات الشعبية . وبذلك تولدت الوظيفة الاجتماعية للشعر الجديد ، من صميم المعركة المادية ، وبقيت هذه الوظيفة ملازمة لتطوره ، حتى بلغ أعلى درجات الذاتية الحضارية » .

« ومن هنا فإن هذا المولد التاريخي الواضح للشعر الحديث ، يبرهن بصورة قاطعة ، على أن هذا الشعر لم يصطنع من خارج حدود الأمة ، ولم يفد عليها غريباً ، لكي ينسأل على أقلام امزجة ناشئة . بل أنه ولد من هدير أنفورة الجماهيرية ، ثم ارتفع في لحظات الهدوء إلى حدود المعاناة الفردية ، وراحت تصب فيه تجارب ثقافية وإنسانية عالية ، لبعض وجدانات من نخبة المثقفين العرب ، وهم يفوضون على الأصول ، من أجل الكشف عن لحظة البراءة المطلقة ، وإعادة الصفاء إلى ينبوع الخلق والتقييم . وهي اللحظة الضرورية في كل بداية انبعاث حضاري في التاريخ البشري » (٢٥) .

فاذا كانت الستينات ، وهي تحمل معها الكثير من التغييرات (الانتصارات والانكسارات) على جميع المستويات : السياسية والثقافية ، وولادة جيل جديد من الشعراء ، شهدت أو عانت الحركة الشعرية من حالة انفصام بينها وبين الجماهير الشعبية لأسباب كثيرة يطول شرحها ، ولكن لا بد من ذكر أهمها ، مثل :

- الإحباطات السياسية المتعددة ، والدموية أحياناً .

- الفزو الثقافي الليبرالي الذي ساهمت فيه بعض دور النشر العربية .

- تمزق القوى الوطنية (أحزاباً ومنظمات ..) في صراعات ثانوية .

- تدهور الأوضاع الاقتصادية ، وخاصة فئات البرجوازية الصغيرة التي ينحدر منها معظم الشعراء ، تحت ضغط وسطوة البرجوازية التجارية والصناعية .

كل ذلك ، مع عوامل أخرى بالتأكيد ، أدى بالترابط إلى ولادات شعرية عسيرة ممزقة . وفي أفضل الأحوال إلى تيارات مفرقة فسي (الآنية) والصوفية والغموض والشكلية . هي في الواقع ، انفراقات أوضاع مأساوية مضطربة ، ومعركة غير واضحة المعالم - أمام هذا الأجيل الجديد على الأقل - الذي طحنته التمزقات الداخلية ، وغياب الحرية وانعدام الوضوح في الرؤية السياسية ، والأجواء الكابوسية للاداب القريبة الجديدة .

كان هذا هو الاتجاه السائد ، وإن كنا لا نعلم أن نجد شعراء ظلوا في مستوى القضايا المصرية ، وعلى قدر من وضوح الرؤية ، ولكنهم لم يكونوا مسموعين في غالب الأحيان ، حتى إذا كانت نكسة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، صحا الجميع على واقع جديد ، لا لأنه

(٢٥) مطاع صفدي : (مسؤولية المعاناة في الشعر الحضاري) - مجلة « الآداب » آذار ١٩٦٦ ، ص ٢٠ . ونحن نهدف أيضاً من هذا الاقتباس الطويل من مقال الأستاذ صفدي أن نرد على أولئك الذين ما يزالون يرون في الشعر الجديد وليداً غير شرعي ، أو محاولة مشبوهة لهم التراث العربي !

غير معقول وحسب ، بل لأن التبدل جاء سريعاً وصاعقاً (٢٦) . وفي الوقت الذي دفع هذا التبدل ، البعض إلى اليأس والتنبؤ والكآه ، حدد موقف البعض الآخر بشكل أوضح . وأبرز قوى جديدة في ساحة المعركة العربية لم تكن ملموسة (شعر المقاومة ، والمقاومة المسلحة) . كما خلق ذهنيات جديدة .

بل أني لاستطيع القول ، أن بعض قوى اليسار العربي قد أعادت النظر في مواقفها القديمة تجاه القضية الفلسطينية وتجاه كثير من القضايا النظرية ، والأحداث اليومية : العربية والعالمية . كما دفع حزيران ببعض القوى المترددة من البرجوازية الصغيرة إلى صفوف اليسار ، وضاعف من قوة الأفكار العلمية ، والثورية ، وانتشارها بين الجماهير ، وشدد بالتالي من جبهة محاربة الأفكار والتيارات البرجوازية الليبرالية المعادية للفكر الاشتراكي ، وتورات الإنسان الجديدة .

وبعبارة وجيزة ، استطاعت نكسة حزيران أن تخلق وضعاً جديداً ، وعلاقات جديدة بين قوى الثورة العربية المعاصرة . لعلها في الجبهة الثقافية ، أكثر نصوعاً وأشد تماسكاً .

وهكذا عاد الشعر العربي إلى مجراه الطبيعي ، الإبهى ، وبدأ يتخلص من كثير مما علق به ، زمن الستينات الأولى ، من الارتباك في المواقف والغموض في مفاهيم الحياة والفن ، رغم أننا ما زلنا نجد « الاستثناءات التي لا تخلو منها حركة إبداعية » .

- ٦ -

أن الشعر العربي الجديد بواقعه انحاصر ، وطموحه المستقبلي ، شعر يقدر أن يؤثر تأثيراً موازياً لآي اتجاه أدبي آخر ، أن لم يكن أكثر ، ذلك أننا ما زلنا أمة شعر على ما يبدو (وقد لا يكون هذا علامة خير) .

فالشعر يرتبط دائماً بمشاعر بدائية (أو فن السحر - على رأي فشر -) تمت إلى عالم الطفولة والأسطورة أكثر مما تمت إلى عالم العلم والحقيقة الواقعية . ولكن عزاءنا ، أن هذا الشعر بدأ يفهم أن تأثيره في الجماهير ، ينبغي أن يأتي عن طريق الوعي لا المشاعر وحسب . فهو يأخذ أذن دور العلم والنظريات ، أو أشبه بذلك ، وقد حصل هذا بفعل التحفز الحضاري والتحرك الاجتماعي نحو العلمية في العالم العربي ، نون أن يقطع هذا الشعر جذوره الموهلة فسي الطبيعة البشرية والتي بدونها لن يكون شعراً .

معنى ذلك ، إذا كان التقدم التكنيكي في البلاد الصناعية المتقدمة قد قطع الإنسان عن الطبيعة ، وسحب بعيداً عن خضرة شجرة الحياة ، إلى المناظر الصناعية الكثيفة ، كما قال جاك بيرك ، فإن الشخصية العربية تستطيع أن تستعيد الطبيعة أو أن تظل ممسكة بها ، بواسطة الآلة أو معها . ذلك أننا لم نفقد موهبة التوحيد

(٢٦) بعد انهزيمة راح الكثير من الشعراء يتحدثون عن أنهم تنبأوا بالهزيمة . ومع أننا لا نجد رؤيا الشعراء التقيمين ونقدمهم للواقع العربي قبل الهزيمة ، والتحريض على تغييره ، ولكن الذي لا شك فيه وبلا ادعاءات ، رأينا الجميسع قد هللوا للحرب مع إسرائيل في اللحظة التي انطلق فيها صوت اول مذيع يعلن النبا ، معتقدين ان هذه الحرب ستكون الخاتمة

لحل هذه القضية ، وإن النصر أكيد . كان هذا التفاؤل ، حشواً حشاه في وجداناتهم ، الساسة والخطباء ، وكسان جهلابامكانيات الدول العربية ، وامكانية إسرائيل ومن ورائها الامبريالية الاميركية التي كان يجعلها حتى أولئك الساسة والحكام .

بينهما (٢٧) بعد . وهذا يتوقف دون شك على حسن استخدام الآلة ووعي ظروف التطور الصناعي ومشكلاته .

وهذا يعني أيضا ، بدوره ، ان ما يشاع من افكار الفلاسق او الاغتراب التكنولوجي لدى بعض أدبائنا ، ما هي الا دعاوى زائفة ، أو هي بالأحرى افكار ومشاعر « مستعارة » من القراءات في الآداب الاجنبية - الأوروبية خاصة ، والا فإين هي التكنولوجيا ، او الآلة المتقدمة التي « غربتنا » !

اننا لا نعاني اغترابا من التكنولوجيا ، بل نعاني غربة عسنة التكنولوجيا . ونعاني صدام ارث هو مزيج من حضارة بدائية وحضارة وسيطية .

وفي عصر العلم والاشتراكية هذا ، الشعر مطالب بالثورة على هذا الارث من الحضارة البدائية والوسيطية ، وعلى الانانية والفردية ، والاتجاه نحو تحقيق الزيد من الانتماء الى الجماهير الشعبية ، والتحديث الاجتماعي ، والاسهام في التحولات الاشتراكية عن طريق « اثاره ووعي جماهير القراء التي تشكل جزءا فاعلا من قوى الحركة الثورية » (٢٨) .

والاسهام الفعال ، كذلك ، في المعركة التحررية ضد قوى الاستعمار والصهيونية والاحتكارات الاجنبية ، ومناهضة كل مظاهر التخلف في اوطان العربي ، وبعبارة مختصرة العمل على تغيير المجتمع العربي تغييرا جنريا ، واشغال الحرائق في كسل ما يعوق تحرره وتقدمه .

وما دام الشعر والادب عموما ، يفعل كل ذلك عن طريق الوعي والاثارة ، فلا بد من الاعتراف بان هناك مشكلات عديدة تقف بوجه هذا الشعر ، وتحول دون وصوله الى انجهمور وتأثيره النائير المطلوب . هذه المشكلات لسنا في مجال عرض الا ما كان منها لصيقا بهذا البحث :

(١) حقيقة الواقع الثقافي للمجتمع العربي ، سواء ما يتصل منه بتفشي الامية وانتشارها او ما يتصل بأساليب ومناهج التربية والتعليم في المدارس والمؤسسات والجامعات .

(٢) المشاكل الفنية للشعر الجديد ، وعلاقة ذلك بالفارء .

(٣) غياب الحرية والديمقراطية ، والارهاب الذي تمارسه بعض أنظمة الحكم العربية او بعض المؤسسات الثقافية ضد الشعر والشاعر الجديد .

(٤) والى جانب ذلك ، بعض الاتجاهات التفريعية والمشككة التي تشيع باسم التجديد والكتابة الجديدة ، والثورة التكنولوجية ، وتبث مفاهيم فكرية - طوباوية وجمايلية - شكلية .

وهي اتجاهات « مهولة » ، ذلك انها اما تحاول ان تقفز فوق الواقع وامكانات تطوره ، بحجة الاتجاه الى المستقبل ، محاولة ايجاد مكان لها هناك . اي في وضع لم يتشكل بعد ، كمن يحاول ان يفرض نفسه « ضيفا » على وضع قد لا يقبله .

واما هي اتجاهات محدفة في الواقع ، باتجاه واحد ، وحين لا ترى سوى عالم الفوضى والفساد ، تعود منكفئة على نفسها ، محاولة ان تقدم صورة تحليلية بemicار ذاتي و (مجاهدات) صوفية استلابية . ان كل هذا يضعنا مرة اخرى في مواجهة الكيان المادي والثقافي للمجتمع العربي . هذا الكيان الذي تتعاش فيه علاقات انتاجية ، وايدولوجيات او وجهات نظر طبقية ، متناقضة .

(٢٧) عن كتاب الدكتور شكري عباد (الادب في عالم متغير) ص ٦٩ .

كما يمكن اعتبار الفقرة الطويلة الموضوعية بين فوسين ، فقرة اعتراضية من وضعنا .

(٢٨) محمد دكروب - المصدر السابق - ص ٤٣ .

ورغم التطور الذي نلمسه في الآداب والفنون والافكار الانسانية التقدمية الا انه تطور يكاد يكون فوقيا ، ذلك اننا نفتقد القاعدة الاجتماعية المادية المتطورة تطورا حقيقيا .

ان ثمة عوامل تاريخية وثقافية واقتصادية اوجدت جماهير عريضة في وضع المستهلك للادب والفن ، وحرمتها في الوقت نفسه من امكانية التطور معهما ، اذ أطرتها في أطر وقواعد ثابتة توارثتها جيلا بعد جيل ، والازمة القائمة هي بين امرين :

١ - الارتفاع بانجماهير الى مستوى الفن والادب وآخر تطوراتهما .
٢ - تلاؤم الادب والفن مع الجماهير ، اي تحويل الانتاج الفني الى ما يشبه الانتاج السلمي ، بكميات كبيرة ونوعية رخيصة .
ولكن الفنان يرفض هذا المصير والجماهير عاجزة عن الترحيب بفته بوضعها الحالي .

وازاء هذا الواقع ، لا بد من احداث ثورة اجتماعية شاملة . الشعر أداة من أدوات هذه الثورة التي ينبغي ان لا تعفي الشعر نفسه من الاحداث آتوري .

ان اشاعر لكي يؤكد حرته ازاء الواقع ، وانه شاهد عصره المنبئ بعصر جديد ، لا بد من ان يعلن انخيازه الكامل الى جانب الفقراء والمضطهدين ، والديمقراطية والثورة . « انه لا حوار في قضية الثورة ولا مكان لاية وجهة نظر ترفض رؤية المعانة الجماهيرية في حركتها التاريخية او تمنح نفسها حرية الاختيار في اتخاذ موقف محايد (٢٩) . هذا اذا كان ثمة امكان لوقف محايد .

ان ما ينبغي ان يدركه المثقف الحر ، انه ليس حرا وهو يقف في صف المستغلين ودعاة العنصرية واعداء التحرر والاشتراكية ، او يقف متفرجا وسط الماساة .

ان مناضلة الواقع الجاثم على صدر هذه الامة ، والذي يكاد يكتفم انفسها ، مهمة اشاعر ، كما هي مهمة رجل الاقتصاد والسياسة ، والاجتماع ... الشاعر مطالب بان يتنور اعماق الواقع ليكشف عن جنور التخلف والارهاب ، وتأكيد حرية الخلق والابداع . هذه الحرية التي هي في عصرنا مؤسسة على معرفة الضرورة التاريخية ، ثم لا بد من ارتباط الشاعر بما هو مصيري ، وبقوى الثورة وجماهيرها ، والعمل على توحيد هذه القوى (احزابا .. منظمات .. او ايدولوجيات طبقية تقدمية) في جبهة وطنية ، طالما ان هذه القوى قوى ثورية ، تربطها بانجماهير مصالح طبقية .

ان الشعر الذي يعمل على تمزيق وحدة القوى الوطنية في مثل هذه المرحلة ، شعر مخرب ، تجب تعريته وكشف نواياه امام الجماهير .

ان الشاعر هنا يلعب دوره في خلق ودعم قوى الخلق والتغيير الاجتماعي وفي (اعداد ارضية طبيعية جديدة للمصائر الانسانية التي لم تتكون بعد) (٣٠) .

هل يعني هذا ، ان شعرنا المعاصر ، يكاد يكون سياسة ؟ اجل . ولكن ليست السياسة بالمفهوم الشائع هي قضية الشعر . السياسة عرضي ، والشعر جوهر ، والمعانسة هي ما نقصده والاداء الشعري المخصوص هو ما تتجسد فيه هذه المعاناة .

ان الشاعر العربي الجديد (كائن سياسي) ولكنه شاعر اولا ، وقضية العصر والانسان هي التي تملئ عليه الشعر السياسي (نقد المؤسسات الاجتماعية والسياسية التي تسلب الانسان انسانيته ، وتحدده في بقعة معينة من التاريخ والحضارة .

ولهذا نقول ان الشاعر الاعمق تأثيرا في المجتمع ، ليس ذاك الذي يكتفي بتصوير ما يرى .. بل هو ذاك الذي يثير السؤال بعد السؤال .. يخرض ، ويكشف ، ويوحى ، ويوقف .

(٢٩) صديقي اسماعيل - مجلة « الآداب » كانون الثاني ١٩٧٢ ، ص ١٠ .

(٣٠) نفس المصدر السابق .

قال الاستاذ صديقي اسماعيل : « العصر الذي نعيش فيه هو عصر يقظة للضمير الانساني ، يقظة زادت نظرة الشعب الى الحياة شمولاً وعمقاً . واصبح الشاعر مطالباً بان يعبر في غنائه عن قضية شعبه في أعماق صورها . ان الشاعر المعاصر هو شاعر بمقدار ما يضع يده على ضمير الانسان في عصره ، وتكون اللفظة والصورة في تجربته الفنية تجسيدا لهذا الضمير في ايمانه واضطرابه فسي سعاده وشقاؤه ، في قوته وضعفه . ان مصير الشاعر العربي المعاصر ان يرد اتينبوع ابداً . بذلك وحده يحسن تناول الاشياء والناس من خلال وجهة نظر جديدة في حياة الانسان » .

وعلى هذا نقول ، ان الشعر العربي الثوري ، هو الذي يعمل على :

١ - هدم كل المؤسسات والمنشآت المادية والثقافية والفنية المهترئة والسكونية في المجتمع ، والتي تعمل على قمع قوى الخلق والابداع للفرد العربي ، لينتج لهذه القوى ان تنمو وتزدهر في ظل التقدم والحرية والديمقراطية .

٢ - تطوير الموروثات الثقافية والمادية والفنية ، التقدمية والانسانية لتكون الارضية الجديدة للبناء الجديد .

٣ - بناء مواقف ثورية وتقدمية - مادية وفكرية وجمالية جديدة - فالشاعر الحقيقي ، الثوري ، نقول مع (البيان الشعري) : (هو مع المستقبل دائما . أي أنه نأثر تقدمي يخوض حروبا مستمرة ضد انفلاقات المجتمع : ضد العبودية ، ضد الاستغلال ، ضد البيروقراطية ، ان الشاعر الذي يرتبط بالمستقبل والحلم والحقيقة يتخذ موقفا عسكريا من امراض عصره . فهو لا يدين فقط وانما يكتب قصائده بدمه ايضا عندما تقتضي الضرورة وعندما يكشف ان موته اكثر اهمية في رحلته الانسانية نحو الحقيقة » (٢١) .

- ٧ -

أما وقد انتهينا الى هذا المسار . ماذا نقصد بالشعر الجديد ؟ الشعر الذي انبنى عليه رأينا ، في مسيرة الشعر على التغيير والابداع ؟ اننا نجد اليوم في شعرنا العربي المعاصر (المعاصرة - الزمنية) عدة اتجاهات واشكال في كتابة القصيدة ، وهي تمثل في الوقت نفسه وعي الشاعر للعصر ، ولعملية الخلق الفني :

(١) القصيدة التقليدية : وهي تمثل في جوهرها ، الوعي المحافظ والتقليدي في فهم العالم والانسان ، كما تمثل خصائص النفس والنوع العربي الذي تشكل عبر قرون طويلة ، انتهت .

(٢) القصيدة الجديدة : وهي التي خصصناها بهذه الدراسة ، وهي تمثل بأبعادها الفنية والفكرية ، وعي العصر ووعي الشاعر للاداء الفني ومهامه ازاء مرحلة تاريخية معينة .

وهذه القصيدة ذات مستويات فنية متعددة ومختلفة لدى شعرائها ، أي ان ما يميزها ، فنيا ، انها ذات طابع تجريبي ، ولكن ما يقارب بينهما : الرؤية . اذ هي تحول ان تقدم شهادة صادقة للعصر ، او حوارا دائما مع الوجود الانساني من اجل الكشف ، واستشفاف آفاق المستقبل (٢٢) .

اي اننا داخل هذه القصيدة التي نصفها بالجديدة ، يمكن ان

نميز نوعين من الرؤية ، يرتبط بها الشكل او ترتبط به ، ارتباطا عضويا وجماليًا :

١ - رؤية تصويرية - رافضة : اي ان القصيدة التصويرية هذه ، تصور الواقع ، او تصفه . وفي الحالة هذه ، تضع نفسها في ظل الاشياء . وعندما ترفض فان رفضها ، يظل مجرد رفض (خارجا عن القانون) ولكنه ليس ثورة .

ان القصيدة هذه ، والتي تتخذ شكلا جديدا غير قديم ، ترتبط بوعي طبقي او انساني ولكنسه غير ثوري ، انه في جوهره ، وعي البرجوازي المستنير .

اذن ، وكما قال ادونيس : « ما نسميه اليوم شعرا جديدا ليس كله جديدا ، فالشكل غير القديم لا يعني ، بالضرورة ، انه جديد . ثمة شكل جديد ، ظاهريا ، يحمل نفسا جديدا . فالفرق بين القديم والجديد لا نلتسه ، بالضرورة ، في الشكل ، بل في الروح ، في الحضور الشعري الشخصي الجديد الاصيل ، تعبيرا ورؤيا » . « وكل اثر شعري جديد يكشف عن امرين مترابطين :

شيء جديد يقال ، وطريقة قول جديدة . فكل ابداع يتضمن نقدا للماضي الذي تجاوزناه ، وللحاضر الذي نغيره ونبنيه . وعلاقة الجدة في الاثر الشعري هي طاقتسه الميرة التي تتجلى في مدى الفروقات ومدى الاضافة : في مدى اختلافه عن الآثار الماضية ، وفي مدى اغنائه الحاضر والمستقبل » (٢٣) .

٢ - رؤية ثورية : أي شعر يهدف الى تحطيم الاطر التقليدية للبنية الاجتماعية ، شعر مقلق للضمير الانساني ، ومتجاوز لنفسه باستمرار ، انه التجسيد الحي لثورة الانسان . و « التعبير عن هذا الصراع الازلي والعميق فيما بين الانسان وبين نفسه ، وما بين الانسان ومجتمعه ، وما بين الانسان وقدره » (٢٤) .

ان الرؤية الثورية ، رؤية جدلية ، مؤسسة على معرفة الضرورة التاريخية ومنحازة الى الحاضر ضد الماضي المتخلف ، وإلى المستقبل ضد الحاضر المتبذل . اي ان الشعر الثوري ، ليس شعرا (مسكونا بالمستقبل وحده) بل تسكنه (وحدة الزمن التي تشمل الماضي والحاضر والمستقبل) وتوجهه الرؤية الجدلية التاريخية ، لتناقضات الحياة والمجتمع .

اننا محاصرون بوجود اجتماعي يقع فيه القديم ، الجديد ، ويضطهده ، والعالم الجديد ينبعث من هذا العالم القديم - الميت ، كنفيس له ، وانتصار عليه . وعظمة الشعر ، تتمثل في قدرته على تحدي الموت والغربة والاضطهاد الانساني . والتبشير بالبعث ، والحب ، وتأكيد الوجود الانساني الحقيقي .

ان احراز انتصارات فكرية ومادية للطبقات الشعبية ، فسي مرحلة معينة (اقطاعية او برجوازية) هي بشير بانتصار هذه الطبقات على واقعها .

وفي مثل الظروف التي يعيشها الانسان العربي ، والانسان في العالم ، لا وجود حقيقي ، ولا حرية حقيقية للشعر الا في ارتباطه بالثورة وبالنضال العملي للجماهير من اجل التغيير الاجتماعي الشامل .

طراد الكبيسي

بغداد

(٢٣) تجربتي الشعرية - «الاداب» - آب ١٩٦٦ ، ص ٣ .
(٢٤) محمد الفيتوري - مجلة « الثقافة العربية ٧١ » لبنان - آذار ١٩٧١ ، ص ٦٧ .

(٢١) مجلة الشعر ٦٩ - ع (١) ص ١٢ .

(٢٢) سبلا حظ القارئ اني اهلكت ما يعرف بـ (قصيدة النشر) ، ذلك انني ارى انها لم تستطع حتى لدى اقدر كتابها ان تكتسب صفة (قصيدة ...) .